الفصل الثالث

القراءات المتواترة

يحتوي على المباحث الآتية :

١- السند المتواتر .

٢- كيفية تلقي القراءات .

٣- أركان القراءة القرآنية المقبولة .

٤- أئمة القراءات المتواترة ورواة قراءاتهم .

٥- الفرق بين القراءة والرواية والطريق والوجه .

٦- حكم تعلم القراءات .

٧- حكم تركيب القراءات .

٨- مواقف لبعض العلماء من القراءات .

٩- موقف بعض المستشرقين من القراءات .

الفصل الثالث

القراءات المتواترة

١ - السند المتواتر :

سوف تمر بالقارئ في الفصول التالية كلمتا «السند المتواتر» لذا رأيت أن أعطي القارئ فكرة عن السند والتواتر .

السند في اللغة : ما أسند إليه من حائط ونحوه . والسند في اصطلاح علماء القراءات وعلماء الحديث النبوي الشريف من هذا[١] لأن كلا من راوي القراءة والحديث يسند ما رواه إلى من سمعه منه، حتى يبلغ السند منتهاه، وهو النبي ﷺ.

أما التواتر : فهو في اللغة تتابع الأشياء الواحد إثر الآخر ، مع فترة بين السابق واللاحق ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ (المؤمنون:٤٤) وقول لبيد في جمهرة أشعار العرب (ص ٣١١).

يعلو طريقة متنها متواترٌ في ليلة كفر النجومَ غمامُها

والخبر المتواتر نوعان : المتواتر العام ، والمتواتر الخاص . ومثال الأول : الخبر الذي يتناقله الناس على اختلاف درجات وعيهم ونواحي تخصصهم ، من أن مدينة كذا عاصمة قطر كذا[٢] ومثال الثاني : التواتر الوارد عند علماء النحو ، كأن يقال : إن العرب يجرون الاسم الواقع بعد «مِنْ» و«عَنْ» ونحوهما لفظًا أو : تقديرًا . وهكذا الحال في الميادين الأخرى .

---

(١) ابن القاصح : سراج القارئ المبتدئ ص ١٠ .

(٢) إمام الحرمين : البرهان في أصول الفقه ٦٦/١ .

ولا يشترط في قبول الخبر المتواتر عدالة ناقلية ، فلو كانوا فسقة أو كفاراً لترتب على خبرهم العلم بما أخبروا به[1]. والتواتر الوارد في قراءات القرآن من نوع التواتر الخاص .

والخبر المتواتر في علم القراءات : نقل جماعة مستفيضة يمتنع تواطؤهم على الكذب ، عن جماعة مثلهم ، من أول السند إلى منتهاه ، إلى رسول الله ﷺ[2] ، وذلك بطريق المشافهة والسماع .

٢- كيفية تلقي القراءات :

وقد انتهج علماء القراءات ـ منذ عصر الصحابة ـ أسلوبًا علميًّا دقيقًا في انتقال قراءة القرآن من المعلم إلى المتعلم ، فلم يكن الأستاذ يأذن لتلميذه بالقراءة إلا بعد أن يسمع التلميذ من الأستاذ أولاً ، ثم يعرض على أستاذه ما سمعه منه ، وذلك لكي يستوثق الأستاذ من حسن أداء تلميذه المتلقي . وقد صنع رجال الحديث النبوي الشريف في تحمل السنة شيئًا قريبًا من هذا ، غير أنهم اكتفوا في تحمل الحديث بالسماع من لفظ الشيخ . ولا كذلك علماء القراءات[3] .

٣- أركان القراءة القرآنية :

بين العلماء اختلاف في أركان القراءة الصحيحة المقبولة ، التي يتلى بها القرآن داخل الصلاة وخارجها . فبعضهم يجعل الأركان ثلاثة ، وهي :

١- أن تكون موافقة للغة العربية .

٢- وصحيحة الإسناد .

٣- وموافقة في الرسم لأحد المصاحف العثمانية الأئمة . ومن هؤلاء : الشيخ مكي ابن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) وممن وافقه على هذا المحقق ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) ولذا قال في « طيبة النشر » :

---

(١) الونشريسي : المعيار المعرب ١/٤١٥ .

(٢) عبد الفتاح القاضي : القراءات الشاذة ص٥ ، صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ص٢٥٠ .

(٣) البنّاء : إتحاف فضلاء البشر ص ٥ .

وكل مـا وافـق وجـه نحـوي وكان للرسـم احتمـالاً يحـوي
وصـح إسـنادًا هـو القـرآن فهـذه الثلاثـة الأركـانُ

وبعض العلماء لا يكتفي في السند بالصحة ، بل يقول بوجوب تواتره . وهو الراجح[1] وقد درجت في مباحث هذه الرسالة على هذا ، عند وصفي لكل قراءة شاذة . فالأركان عند هؤلاء أربعة (أ) موافقة اللغة (ب) وموافقة الرسم (جـ) وصحة الإسناد (د) وتواتره . وفي الحقيقة أنه يلزم من تواتر السند صحته . فمن الممكن القول بأن الأركان عند هؤلاء ثلاثة أيضًا . ويعنون بموافقة اللغة ، ما يشمل متنها وقواعدها النحوية والصرفية . وليس شرطًا أن تكون القراءة وفق الأفصح ، أو الأكثر شهرة من لهجات العرب ، وإنما المدار على الرواية المنقولة بالتواتر[2].

والمراد بقولهم : موافقة الرسم : أن تكون القراءة وفق رسم الكلمة في أحد المصاحف العثمانية الستة ، لأن كل مصحف منها كان إمامًا وأصلاً يرجع إليه في انتساخ المصاحف . وبين هذه المصاحف بعض اختلاف في الرسم[3] ، بالذكر والحذف كما تقدم ذكره في « الفصل الثاني : الفقرة الخامسة » وسيأتي الحديث عنه أكثر تفصيلاً في الفصل التاسع . ص (٣٣٣).

٤- أئمة القراءات المتواترة ورواتهم :

وبعد أن انقضى عصر قراء المصاحف العثمانية ، في أواخر القرن الأول[4]. وكان بعضهم من الصحابة ، وبعضهم من كبار التابعين ، تولى التابعون رضي الله عنهم أمر حفظ القرآن وتعليمه على النمط الذي تعلموه من قراءة الصحابة . وقد كان الصاحبي القارئ شديد المحافظة على أداء القرآن ، على النحو الذي سمعه من النبي ﷺ ، في مخارج الحروف وما هي عليه من حركة أو سكون ، أو مد أو قصر ، وهلم جرا .

---

(١) السفاقسي : غيث النفع ص ١٧ .
(٢) عبد الفتاح القاضي : القراءات الشاذة ص٤.
(٣) المصدر السابق ص٤ ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٥٤/١ .
(٤) كان آخرهم وفاة « المغيرة بن شعبة » رضي الله عنه ، وذلك في سنة ٩١هـ .

وقد انقطع نفر من التابعين وتابعيهم ، للقرآن وحده ، قراءة وإقراء . وعرفوا بذلك بين معاصريهم ، فاتجهت الأنظار إليهم ، وأصبح طلاب القراءات يفدون عليهم ، لما وصفوا به من الثقة والكمال في الضبط .

وظهر إلى جانب هؤلاء فريق من أهل البدع والأهواء ، يقرأون بعض آيات القرآن على النحو الذي يتفق وهواهم وذلك عندما يكون رسم المصحف مؤذنًا بذلك . فقد قرأ بعض المعتزلة قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (النساء:١٦٤) بنصب اسم الجلالة ، ليكون المعنى : موسى هو المتكلم . وقرأ بعض الرافضة : «المضلين» في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ (الكهف:٥١) بصيغة المثنى ، قاصدين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما [1].

وعندئذ دفعت الغيرة على القرآن ، والعناية بحفظه من التحريف ، عددًا من علماء القراءات لوضع مؤلفات حددوا فيها أسماء الذين يعتبرون حجة في القراءات ، لما اتصفوا به من جودة الحفظ ، وكمال الثقة ، وطول الممارسة لتعليم القرآن . ولم يتفق هؤلاء العلماء أول الأمر على عدد خاص ، فقد رأوا أن يختاروا عددًا من الثقاة في كل مدينة أرسل إليها سيدنا عثمان رضي الله عنه مصحفًا ، وعين صحابيًا أو تابعيًا مقرئًا منه . فاختاروا من المدينة المنورة ثلاثة ، وهم : أبو جعفر المدني (ت ١٢٧هـ) وشيبة بن نصاح مولى أم سلمة رضي الله عنها (ت سنة ١٣٠هـ - أو ١٣٨هـ) ونافع بن عبد الرحمن (ت ١٦٩هـ) واختاروا من مكة ثلاثة أيضًا وهم : عبد الله بن كثير (ت ١٢٠هـ) وابن محيصن (ت ١٢٢ - أو ١٢٣هـ) والأعرج (ت ١١٧هـ) واختاروا من الكوفة خمسة ، وهم : يحيى بن وثاب (ت ١٠٣هـ) وعاصم بن أبي النجود (ت ١٢٧هـ) والأعمش (ت ١٤٨هـ) وحمزة (ت ١٥٦هـ) والكسائي (ت ١٨٩هـ) واختاروا من الشام ثلاثة ، وهم : عبد الله ابن عامر (ت ١١٨هـ) وعطية بن قيس الكلابي (ت ١٢١هـ) ويحيى بن الحارث الذماري (ت ١٤٥هـ).

---

(١) القسطلاني : لطائف الإشارات ١/٦٧ .

واختاروا من البصرة أربعة ، وهم : عبد الله بن أبي إسحق (ت ١١٧هـ) وأبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) وعاصم الجحدري (ت ١٢٨هـ) ويعقوب الحضرمي (٢٠٥هـ) [١] واختار أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ) خمسة عشر إمامًا قارئًا ، فقد خص كل مدينة من مدن المصاحف العثمانية بثلاثة قراء . والمدن الخمس هي : مكة والمدينة والبصرة والكوفة ودمشق[٢].

ثم جاء من قصر أئمة القراءات المتواترة على خمسة فقط ، وهو ابن جبير المكي فقد اختار من كل مدينة من المدن المذكورة قارئًا . ثم جاء ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) في القرن الرابع ، فجعل أئمة القراءات المتواترة سبعة ، واقتصر من رواة كل واحد منهم على اثنين[٣] وفيما يلي[*] ترجمة هؤلاء الأئمة السبعة ورواتهم :

١- ابن عامر (ت ١١٨هـ) :

هو عبد الله بن عامر اليحصبي أبو عمران ، إمام أهل الشام في القراءة ولد في قرية «رحاب» بالشام ولما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، كان له سنتان ، وانتقل إلى دمشق بعد فتحها وله تسع سنين . وقد أخذ القراءة عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه وأبي الدرداء والمغيرة بن أبي شهاب . وكان قد ولي القضاء . وقد اختلف المؤرخون في نسبه ، أعربي هو أم أعجمي ؟ والصحيح أنه عربي . مات بدمشق سنة (١١٨هـ) ثماني عشرة ومائة ، أيام هشام بن عبد الملك . واشتهر من رواة قراءته اثنان : هشام بن عمار الدمشقي . وعبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان ولم يرويا قراءة ابن عامر منه مباشرة ولكن بالواسطة[٤].

---

(١) القسطلاني : لطائف الإشارات ٦٧/١ .

(٢) ابن حجر : فتح الباري ٢٨/٩ ، الذهبي : معرفة القراء الكبار ١٤١/١ .

(٣) فتح الباري ٢٩/٩ .

(*) لا علاقة بين عدد السبعة المذكور في أحاديث الأحرف السبعة واختيار ابن مجاهد هذا ، وإنما كان تحديدًا منه فقط . فليته زاد أو نقص عن هذا العدد ، حتى لا يتوهم العامة ما توهموه ، من عدم تواتر قراءات غير هؤلاء الأئمة. (انظر ابن العربي : عارضة الأحوذي ٦١/١١) ، و(ابن حجر : فتح الباري ٢٧/٩) .

(٤) معرفة القراء الكبار ٦٧/١ ، غاية النهاية ٤٢٤/١ ، النشر في القراءات العشر ١١٧/١ .

٢- ابن كثير (ت ١٢٠هـ) :

هو أبو معبد عبد الله بن كثير المكي ، مولى عمرو بن علقمة الكناني . تابعي ، أصله من فارس . أخذ القراءة عن عبد الله بن السايب المخزومي الصحابي ، ودرباس مولى ابن عباس ، ومجاهد بن جبر ، وهذا قرأ على ابن عباس ، الذي قرأ على أبي بن كعب رضي الله عنه .

ولم يخالف ابن كثير مجاهدًا هذا في شيء من قراءته ، وقد تصدر للإقراء بمكة حتى صار إمامًا ، وقرأ عليه خلق كثير ، منهم الخليل بن أحمد ، وسفيان بن عيينة ، وأبو عمرو بن العلاء . وقد اشتهر من رواته : أبو الحسن أحمد بن محمد ابن عبد الله المشهور بالبزي . وأبو عمر محمد المشهور بقنبل . ولم يتلق هذان قراءة ابن كثير منه مباشرة ولكن بالواسطة . وكان ابن كثير من رواة الحديث النبوي إلى جانب إمامته في قراءة القرآن[١] .

٣- عاصم (ت ١٢٧هـ) :

هو عاصم بن أبي النجود الأسدي ، واسم أبيه بهدلة ، وكنيته : أبو بكر ، تابعي ، أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن السلمي ، الذي قرأ على الإمام علي رضي الله عنه ، وعن زر بن حبيش الذي قرأ على ابن مسعود وقد قرأ عليه القرآن خلق كثير ، منهم : الأعمش ، ونعيم بن ميسرة ، وأبو بكر بن عياش (شعبة) وحفص بن سليمان ، وهما اللذان اشتهرا برواية قراءته . وقد صار عاصم إمامًا للقراءة في الكوفة ، بعد شيخه أبي عبد الرحمن السلمي وقد كان عاصم كفيفًا ، وأكثر روايات القرآن انتشارًا في العالم اليوم ، هي رواية حفص عنه ، وقد قال شمر بن عطية عن قراءة عاصم : عاصم أقرأ الناس لقراءة زيد بن ثابت[٢] .

---

(١) غاية النهاية ١/٤٤٣ ، سراج القارئ ص ١٠ ، معرفة القراء الكبار ١/٧١ .

(٢) سراج القارئ ص١١ ، معرفة القراء الكبار ١/٧٣ ، غاية النهاية ١/٣٤٦ .

٤- أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) :

هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار البصري المازني ، من بني مازن ، وولاؤه للعنبر ، اختلف في اسمه ، فقيل : اسمه كنيته وقيل : اسمه زيان . ولد بمكة سنة ٦٨هـ ونشأ بالبصرة . قرأ على جماعة من التابعين ، بالحجاز والعراق ، منهم ابن كثير ، ومجاهد وسعيد بن جبير . وقرأ القرآن عليه جماعة ، منهم أبو عبيدة القاسم بن سلام . والأصمعي ، وشبانة ، وغيرهم وليس له في كتب السنة شيء . وراوياه اللذان اشتهرا برواية قراءته هما : أبو حفص عمر الدوري(*) ، وأبو شعيب صالح بن زياد السوسي[1] واتصالهما به بواسطة تلميذه المباشر : يحيى بن المبارك اليزيدي[2].

٥- حمزة الزيات (ت ١٥٦هـ) :

هو حمزة بن حبيب الزيات الكوفي ، وكنيته : أبو عمارة ، كان مولى تميم ، أدرك الصحابة بالسن . قرأ على جعفر الصادق ، والأعمش ومحمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى ، وطلحة بن مصرف وغيرهم . وأخذ القراءة عنه : الكسائي ، وسفيان الثوري ، وسليم بن عيسى ، وغيرهم . له حديث مخرج في صحيح مسلم ، وإليه انتهى الإقراء بحلوان العراق سنة ١٥٦هـ على الراجح واشتهر من رواته : خلف وخلاد ، رويا قراءته بواسطة سليم بن عيسى[3].

٦- نافع (ت ١٦٩هـ) :

هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي ولاءً . وكنيته : أبو رويم مقرئ المدينة المنورة . أصله من أصبهان أخذ القراءة من سبعين من التابعين . وممن قرأ

(*) رواية الدوري هي المعروفة في أكثر خَلَوات السودان . وقد ظل الطلبة يتلقونها من مشائخهم ، ويرجعون إلى مصاحفها الخطية ، حتى أقدمت الحكومة - بتوجيه من السيد رئيس الجمهورية « جعفر محمد نميري » فطبعت المصحف بها سنة (١٣٩٨ - ١٩٧٨) .

(١) مدينة فارسية ، كانت قد فتحت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، تقع جنوبي طهران ، على خط ع / ٣٢ وخط ط / ٥١ (البستاني : دائرة المعارف ٣/٧٣٦) .

(٢) سراج القارئ ص ١٠ ، معرفة القراء الكبار ١/٨٥ .

(٣) معرفة القراء ١/٩٣ ، كتاب السبعة لابن مجاهد ص٧٢ ، غاية النهاية ١/٢٦١ .

عليهم : الأعرج وأبو جعفر المدني ، وشيبة بن نصاح . وممن قرأ على نافع : الإمام مالك بن أنس ، وإسماعيل بن جعفر ، وعيسى بن وردان . وقد اشتهر من رواة قراءته راويان ، هما : قالون ، وورش . وقد طبع في مصر منذ مدة مصحف رواية ورش . وهذه الرواية منتشرة في مصر والإقليم الشمالي في السودان ، وفي ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا[1].

٧- الكسائي (ت ١٨٩هـ) :

هو علي بن حمزة أبو الحسن الكسائي ، الأسدي ولاءً ، الكوفي النحوي . قرأ القرآن على حمزة ، ومحمد بن أبي ليلى ، وعيسى بن عمر الهمداني ، وروى الحروف عن أبي بكر بن عياش ، وإسماعيل ويعقوب ابني جعفر عن نافع . وعن المفضل بن محمد الضبي ، وغيرهم ورحل إلى البصرة ، فأخذ اللغة عن الخليل ابن أحمد . وأخذ عنه القراءة خلق كثير عرضًا عليه وسماعًا منه ، واشتهر من رواة قراءته راويان أبو الحارث الليث بن خالد ، وأبو عمر حفص الدوري راوي قراءة أبيّ وكانت وفاة الكسائي برنبويه[2].

هؤلاء هم الأئمة السبعة أصحاب القراءات السبع ، كما حددهم ابن مجاهد ، وجعل قراءة من عداهم غير متواترة ، ولم يوافق جمهور العلماء ابن مجاهد على حصر القراءات المتواترة في قراءة هؤلاء الأئمة السبعة وحكموا بأن ثلاثة أئمة آخرين ، تنطبق على قراءاتهم شروط القراءة المتواترة . ولذا اعتبروا هذه القراءات الثلاث متواترة أيضًا ، وهو المعتمد والراجح عند أهل هذا الشأن . وبذلك كانت القراءات المتواترة عشرًا ، السبع التي مرت ترجمة أئمتها ، وقراءات هؤلاء الأئمة الثلاثة ، وهم :

٨- أبو جعفر المدني (ت ١٢٧هـ) :

وهو يزيد بن القعقاع . وقيل : اسمه جند بن فيروز . وهو مولى أبي الحارث عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي . وقد عرض أبو جعفر القرآن على

---

(١) كتاب السبعة ص ٥٣ ، سراج القارئ ص٩ ، معرفة القراء الكبار ٨٩/١ .

(٢) معرفة القراء الكبار ١٠٠/١ ، سراج القارئ ص ١٢ .

مولاه هذا . وعلى عبد الله بن عباس ، وأبي هريرة رضي الله عنهما ، وروى عنهم . وروى القراءة عنه خلق كثير منهم الإمام نافع المتقدم ذكره . وقد روى الإمام مالك عنه بعض الأحاديث ، ووصفه بقوله : «أبو جعفر القارئ كان رجلاً صالحًا يفتي الناس بالمدينة» وهذا دليل على أن أبا جعفر كان ذا باع طويل في الفقه أيضًا . وقد اشتهر من رواة قراءته راويان : عيسى بن وردان ، وسليمان بن جماز ، وقد اختلفت الروايات في سنة وفاته بين (١٢٧هـ - ١٣٢هـ) [١].

٩- يعقوب الحضرمي (ت ٢٠٥هـ) :

هو يعقوب بن إسحق بن زيد البصري ، الحضرمي ولاءً ، وكنيته : أبو محمد أخذ القراءة عرضًا على : سلام الطويل ، ومهدي بن ميمون وأبي الأشهب العطاردي وغيرهم . وسمع الحروف من الكسائي وحمزة وقراءته على أبي الأشهب ، عن أبي رجاء عن أبي موسى الأشعري ، في الغاية من علو الإسناد . وكان «يعقوب» من أعلم أهل زمانه بالقراءات والنحو ، وله مؤلفات ، منها : «الجامع» و«وجوه القراءات» .

وممن روى القراءة عرضًا على «يعقوب» أبوحاتم السجستاني ، وأبو عمرو الدوري . واشتهر من رواة قراءة «يعقوب» اثنان : محمد بن المتوكل أبو عبد الله اللؤلؤي ولقبه «رويس» والآخر : روح بن عبد الله .

توفي «يعقوب» بالبصرة سنة (٢٠٥هـ) عن ثمانية وثمانين عامًا ، رحمه الله[٢].

١٠- خَلَفُ البغدادي (ت ٢٢٩هـ) :

هو : خلف بن هشام بن ثعلب البغدادي . ويكنى بأبي محمد . أصله من : فم الصلح ، أخذ القراءة عرضًا من «سليم بن عيسى» و«عبد الرحمن بن أبي حماد» عن حمزة فلذا يعتبر «خلف» أحد رواة قراءة حمزة غير أنه لم يأخذ بقراءة

---

(١) ابن الجوزي : تحبير التيسير ص١٩ ، معرفة القراء الكبار ٥٨/١ الزركلي : الأعلام ٢٤١/٩.

(٢) غاية النهاية ٣٨٦/٢ ، الزركلي : الأعلام ٢٥٥/٩ .

«حمزة» في (١٢٠) مائة وعشرين حرفًا . وكان أيضًا ثقة رواية الحديث النبوي الشريف .

وروى قراءة «خلف» جماعة من الرواة . اشتهر منهم : إسحق بن إبراهيم وإدريس بن عبد الكريم الحداد .

وكانت وفاة «خلف» ببغداد سنة ٢٢٩هـ[١].

٥- الفرق بين هذه الأسماء : قراءة ، رواية ، طريق ، وجه

لهذه الأسماء الأربعة مدلول خاص عند علماء القراءات ، فكل خلاف ينسب لأحد الأئمة العشرة ، مما أجمع عليه الرواة عنه ، فهو قراءة . وصاحبها إمام .

وكل خلاف ينسب للراوي عن الإمام ، فهو رواية ، وصاحبها راو . فمثلاً : ما انفرد به حفص عن عاصم ، يقال عنه : رواية حفص عن عاصم . وما انفرد به شعبة ، يقال عنه : رواية شعبة عن عاصم ، وما اجتمع عليه الراويان ـ حفص وشعبة ـ وانفرد به عاصم دون باقي الأئمة ، يقال عنه : قراءة عاصم ، وهكذا الحال في باقي القراءات والروايات .

أما الطريق فهو الخلاف الذي ينسب للآخذ من الراوي وإن سفل . وأما الأوجه ، فهي الصور المختلفة التي يجوز للقارئ أن يقرأ بواحدة منها دون إلزام بصورة معينة . مثال ذلك : الوقف العارض للسكون على نحو «العالمين» ففيه أوجه ثلاثة عند كل القراء : القصر ، التوسط ، والمدمع الإسكان المجرد من الروم والإشمام . فللقارئ أن يقرأ بأي وجه من هذه الأوجه الثلاثة . ولا يقال عنه حينئذ : إنه قَصَّر في الرواية بترك الوجهين الآخرين .

وهذه الأوجه الثلاثة ونحوها ، لا يقال عنها : قراءات ولا روايات ولا طرق ، ولكن يقال عنها : أوجه فقط[٢].

---

(١) ابن الجزري ـ غاية النهاية ٢٧٢/١ ، النشر في القراءات العشر ١١٧/١ ، تاريخ بغداد ٣٢٧/٨ .

(٢) البنّاءُ : إتحاف فضلاء البشر ص ١٧ ، البدور الزاهرة ص٨ .

٦- حكم تعلم القراءات :

قد اتفق الفقهاء على القول : بأن كل علم لا تستغني عنه جماعة المسلمين فتعلمه وإتقانه فرض كفاية ، سواء كان من علوم الدين أو الدنيا . فالطب والهندسة وغيرهما من علوم الدنيا ، وعلما القراءات . والحديث النبوي ، وغيرهما من علوم الإسلام ، يجب على جماعة المسلمين أن يحافظوا على هذا العلم أو ذاك . بحيث لا تخلو الأمة الإسلامية ، من المتخصصين في علوم الدين والدنيا على اختلاف العصور .

فالتخصص في قراءة القرآن ، بمعرفة قراءاته ورواياته ، وإتقان أدائه ، فرض كفاية على جماعة المسلمين ، إذ لو انعدم القائمون بأمر هذا العلم على الوجه الصحيح ، لانقطع السند القرآني المتصل بين المسلمين وبين النبي ﷺ ، فجبريل عليه السلام فرب العزة جلَّ جلاله . وقد تلقى النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام ، القرآن بطريق المشافهة ، قراءة من جبريل عليه السلام ، واستماعًا من النبي ﷺ ، فعرضا على جبريل ، فتسجيلاً كتابيًا فوريًا ، يتولاه بين يديه بعض أصحابه من كتبة الوحي . وهكذا تلقاه المسلمون الأولون ، من النبي ﷺ ، كان يتلو فيستمعون فيكتبون ويحفظون ويعملون .

وعلى الرغم من التحسين الذي طرأ على الرسم القرآني ، فتناول الحركات الإعرابية ، ونقط الإعجام ، وابتكار علامات للوقف ، نحو « صَلَى » و« قَلَى » فإن في القرآن نواحي صوتية ، لا تصورها الحروف ولا الحركات ، كالترقيق والتفخيم والفتح والإمالة ، والمد والقصر ، ونحوها من صفات القراءة . ولابد في مثل هذه النواحي من أن يتلقاها المتعلمون من المعلمين فَمًا لأذن ، جيلاً بعد جيل .

٧- حكم تركيب القراءات :

المقصود بـ« تركيب القراءات » أن يخلط القارئ في الربع أو العشر من القرآن ، بين قراءتين أو أكثر ، فيبدأ بقراءة « نافع » مثلاً ثم ينتقل منها إلى قراءة غيره من الأئمة . وقد اختلف علماء القراءات في حكم هذا بين مانع ومبيح ، والحق التفصيل ـ كما قال ابن الجزري ـ بين مقام الرواية وغيره .

فلا يجوز لقارئ في مقام الرواية ، أن يخلط بين قراءتين أو أكثر ، « لأن في ذلك كذبًا في الرواية ، وتخليطًا على أهل الدراية »[1] أما إذا كان القارئ في مقام التلاوة ، فيجوز له أن يبدأ الربع ـ مثلاً ـ بقراءة ، ويختمه بقراءة أخرى[2] بشرط ألا يؤدي التركيب إلى اختلال في المعنى .

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ (البقرة:٣٧) فقد قرأ ابن كثير : « **فتلقى آدمَ من ربه كلماتٌ** » بنصب « آدم » ورفع « كلمات » فلو ركب قارئ لهذه الجملة بين قراءة ابن كثير وغيره بنصب « آدم » أخذًا من قراءة ابن كثير ، ونصب « كلمات » أخذًا من قراءة غيره ، لفسد الإعراب واختل المعنى . ومثل هذا في اختلال الإعراب ، لو رفع القارئ « آدم » كما في قراءة غير ابن كثير ، ورفع « كلمات » كما في قراءة ابن كثير . فمثل هذا لا يجوز باتفاق ، وجاز ما عداه في غير مقام الرواية[3] .

٨- مواقف لبعض العلماء من القراءات المتواترة :

لقلة من العلماء المسلمين ، أحكام غير مسلمة ، حول بعض القراءات المتواترة . فمنهم من يخطئ قراءة متواترة ، ومن يكره إحدى القراءات المتواترة ، ومن يصنف إحداها بأنها أولى من غيرها . وهؤلاء جميعًا على غير الصواب فيما ذهبوا إليه . فالقراءات المتواترة جميعها سنة متبعة ، نقلت بالتواتر عن النبي ﷺ ، ولذا فلا يقبل من أحد بالغ ما بلغ من العلم أن يقول عن إحدى القراءات المتواترة : هذه قراءة خطأ . وتلك قراءة مكروهة ، ونحو هاتين من الصفات . وأذكر فيما يلي نماذج من أقوال الذين خطأوا والذين كرهوا ، والذين قالوا : هذه أولى من غيرها .

فهذا ابن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ) وهو ممن وصفوا بالاجتهاد في الفقه ، وله باع طويل في القراءات والتفسير ، أعطى نفسه حرية واسعة في نقد القراءات .

---

(١) السفاقسي : غيث النفع ص ٦٦ .

(٢) ابن حجر : فتح الباري ٩/٣٥ .

(٣) غيث النفع ص ٦٦ .

وفي كتابه «جامع البيان في تفسير القرآن» نماذج من تخطئته بعض القراءات ، ووصف بعضها بأنه أولى بالصواب من بعض . فمن ذلك تخطئته قراءة قوله تعالى : ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً ﴾ (البقرة:٢٨٢) بنصب «تجارة» وهي قراءة «عاصم»[١] وقد اعترض عليها الطبري فقال : لا أستجيز القراءة بغير الرفع ووصف قراءة النصب بالشذوذ[٢] ، مع أن للنصب توجيهًا إعرابيًا سليمًا ، فإن الضمير المستتر في «تكون» يعود على المعاملة التجارية المفهومة من المقام ، وهو اسم «تكون» وخبرها «تجارة» و«حاضرةً» نعت لتجارة . وعندما تعرض لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ (البقرة:٩) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو . وفيها قراءة أخرى متواترة ، وهي : «وما يَخْدَعون» بفتح الياء وسكون الخاء . قال الطبري : هذه أولى بالصحة من قراءة «وما يخادعون» وساق برهانًا على دعواه قوله : «إن الله جل ثناؤه قد أخبر عنهم أنهم يخادعون الله والمؤمنين في أول الآية ، فمحال أن ينفي عنهم ما قد أثبت أنهم قد فعلوه ، لأن ذلك تضاد في المعنى . وذلك غير جائز من الله جل وعز»[٣].

أقول : لا تضاد في المعنى ، فالله تعالى أخبرنا في أول الآية ، بأن هؤلاء المنافقين «يخادعون الله والذين آمنوا» في الدنيا بحسب ما يتوهمون ، لأنهم يتخيلون أن الله لا يعلم ما يبطنون ، وأخبرنا في آخر الآية بقوله «وما يخادعون إلا أنفسهم» في حقيقة الأمر ، لأنه تعالى لا تخفى عليه خافية .

فالذي أثبته الله في أول الآية مخادعتهم الله والمؤمنين بحسب أوهامهم وظنونهم ، والذي نفاه في آخرها ، مخادعتهم الله والمؤمنين بحسب الحقيقة .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ ﴾ (البقرة:٨٥) بضم الهمزة وفتح السين وبعده ألف . قال الطبري : «وأولى بالصواب في ذلك من قرأ : «وإن

---

(١) إتحاف فضلاء البشر ص ١٦٦ ، النشر ٤٤٦/٢ .

(٢) جامع البيان ٨٠/٦ .

(٣) جامع البيان ٢٧٧/١ .

يأتوكم أَسْرَى» بفتح الهمزة وسكون السين . مع أن القراءة الأولى متواترة أيضًا ، فقد قرأ بها من عدا «حمزة» من الأئمة العشرة[1].

ومن هؤلاء المخطئين لبعض القراءات المتواترة ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) وهو من نحاة القرن الرابع ، فقد خطأ قراءة «حمزة» ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ﴾ (البقرة:٣٣) على تأويل افترض أن حمزة بنى قراءته عليه . فإن «حمزة» يطرح في القراءة الهمزة الساكنة من «أنبئهم» عند الوقف ، ويبدلها ياء ، فيقرأ «أَنْبِيهِمْ» بياء ساكنة بدل الهمزة ، وبضم الهاء وبكسرها . قال ابن خالويه : «فإن كان جعله من «أنبي ينبي» غير مهموز ، فهَو لحن ، وإن كان خفف الهمزة وجعلها ياء وهو يريدها كان وجهًا»[2].

فإن قوله : «فإن كان جعله من أنبى ينبي إلخ» يشعر بأن قارئ القرآن الحجةَ كان يعتمد في قراءته على معرفة وجه القراءة ومصدرها اللغوي ، والحق غير ذلك ، فالقارئ المتقن ، إنما كان يعتمد في قراءته على ما سمعه من الشيوخ الضابطين . وما كان المتلقي للقرآن يسأل معلمه : أهذا الوجه من القراءة من فعل كذا أم من فعل كذا ؟؟ وإنما هي الرواية المتلقاة مشافهة . على أن قراءة «حمزة» هذه جاءت على الكثير المسموع في اللسان العربي ، من ترك الهمزة الساكنة في الدرج والمتحركة عند الوقف ، فإبدالها ياء من باب أولى[3].

ولم يكن «الزمخشري» رحمه الله (ت ٥٣٨هـ) أقل هجومًا على بعض القراءات المتواترة من «الطبري» و«ابن خالويه» فقد اعترض على قراءة «نافع» برواية «ورش» لقوله تعالى ﴿ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ ﴾ (البقرة:٦) فإن «ورشا» يبدل الهمزة الثانية ألفًا ، ويمدها مدًّا لازمًا ، فتلتقي وهي ساكنة مع النون الساكنة . وطعن الزمخشري في قراءة الإبدال هذه قائلاً : «لأنه يؤدي إلى التقاء الساكنين على غير

---

(١) جامع البيان ٢/٣٠٨ .

(٢) ابن خالويه : الحجة ص٧٥ .

(٣) إتحاف فضلاء البشر ص ٦٤ ، ١٣٣ .

حَدَّة[1] وقد تصدى للرد عليه السفاقسي بقوله : « هذه القراءة نفسها أقوى شاهد ، فهي قراءة صحيحة متواترة ، فلا تحتاج إلى شاهد آخر »[2].

أما الذين روى عنهم كراهة إحدى القراءات المتواترة ، فمنهم الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله (ت ٢٤١هـ) فقد قال ابن قدامة : « ولم يكره ـ يعني أحمد ابن حنبل ـ قراءة أحد من العشرة ، إلا قراءة « حمزة » و« الكسائي » لما فيهما من الكسر والإدغام والتكلف وزيادة المد[3]. ووصف أبو بكر بن عياش قراءة « حمزة » بأنها بدعة . وذهب « بشر بن الحارث » أبعد منه فقال : يعيد المأموم صلاته إذا صلى خلف إمام يقرأ بها[4].

وهذه الأقوال ـ وغيرها كثير ـ يجدها القارئ في كتب بعض المفسرين والنحاة ، فتراهم لا يتحرجون من الاعتراض على بعض كلمات في بعض القراءات المتواترة ، اعتمادًا على قياس اللغة وقواعد النحو تارة ، وعلى حجة عقلية تارة أخرى . وقد أنصف ابن الحاجب أئمة القراءات الذين ثبتت قراءاتهم بالتواتر بقوله : « إذا اختلف النحويون والقراء ، كان المصير إلى القراء أولى ، لأنهم ناقلون عمن ثبتت عصمته من الغلط ، ولأن القراءة ثبتت تواترًا ، وما نقله النحويون ثبت عن طريق الآحاد . . . ولأن إجماع النحويين لا ينعقد بدون القراء ، لأنهم شاركوهم في نقل اللغة ، وكثير منهم من النحويين »[5].

وقد أعجبني قول أبي جعفر النحاس رحمه الله : « السلام عند أهل الدين ـ إذا صحت القراءتان ـ ألا يقال : إحداهما أجود ، لأنهما جميعًا عن النبي ﷺ . فيأثم من قال ذلك . وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا »[6].

---

(١) الكشاف ١/١٥٤ .

(٢) غيث النفع ص ٧٧ .

(٣،٤) ابن قدامة : الشرح الكبير على المغني ١/٥٣٤ .

(٥) غيث النفع ص ١٥٢ .

(٦) السيوطي : الإتقان ١/٢٨١ .

وإني على قول أبي جعفر هذا من الموافقين ، لأن كلتا القراءتين المتواترتين من كلام الله تعالى ، جاء بهما جبريل الأمين ، ونقلهما الثقات إلينا من النبي ﷺ ، فلا حجة لمن يقول : هذه أجود من الأخرى .

وبالرغم من هذه الهفوات التي نَـدَّت عن بعض العلماء حول بعض القراءات المتواترة ، فإن جمهور علماء المسلمين ، من قراء ومفسرين ومحدثين ، وفقهاء وأصوليين وغيرهم ، مجمعون على أن القراءات المتواترة كلها في درجة واحدة من الصحة والاحتجاج بها في محيط الدراسات اللغوية ، والأحكام الفقهية ، وأنها وحدها التي يتلى بها القرآن في الصلاة وخارجها .

٩- موقف المستشرقين من القراءات :

ولبعض المستشرقين موقف آخر من القراءات القرآنية ، سواء كانت متواترة أو شاذة وهو موقف نقد ومعارضة ، حاولوا فيه التماس بعض الثغرات التي يمكن النفاذ منها إلى إحداث خلل في القرآن أساس الإسلام ، لكي ينهار البناء كله ، وينطفئ النور الذي أراد الله له أن يظل وهاجًا يهدي الحيارى حتى يطوي الله بساط الدنيا ، ويبعث الناس ليوم الحساب ، ثم يدعو بعضهم إلى النعيم المقيم ، ويسوق بعضهم إلى عذاب الجحيم . . .

إن اليهود والنصارى والمشركين كافة ، مجمعون على بغض الإسلام والمسلمين . وإن اختلفت عقائدهم فيما بينهم . وقد جربوا منازلته في ميادين القتال ، واستشهد الآلاف من دعاته وحماته ، وكان بعد كل حرب يزداد قوة ، ويجذب أفواجًا من المؤمنين ، وإذا كانت المعارك القتالية لم تؤد النتيجة المرتجاة ، فلماذا لا يحاول أعداء الإسلام حربًا أخرى ، ميدانها القرآن نفسه ، وسلاحهم فيها ، العبث بالنصوص . وتحميلها ما لا تحتمل ، والتدليس فيها ، فلعلهم بعد هذا كله يصلون إلى ما يبتغون ، فيرتد المؤمنون ، ويحجم عن اعتناقه الآخرون .

فمنذ أن اتجهت الدول الاستعمارية ، إلى الأقطار الإسلامية ، غازية وحاكمة ، ومطبقة على الشعوب قوانيها الوضعية ، ما انفكت كتائب الاستشراق ، تشرع أسلحتها الفكرية لهدم الدين الإسلامي وتقويض أركانه ، ولذا فتحوا عدة جبهات ،

فتعرضوا لسيرة الرسول ﷺ ، وهاجموا بعض الأنظمة الإسلامية ، كتعدد الزوجات ، وإباحة الطلاق ، وعقوبتي الزنا والسرقة ونظام الرق وهلم جرا . ومن بعض جبهات القتال هذه ، القراءات القرآنية ، ونظرًا لأنها تتصل بالمصدر الإسلامي الأول ، فقد توقعوا أن ينجحوا في هذه الجبهة إن كانوا قد فشلوا في الجبهات الأخرى . وبذلك يصلون إلى ما يبتغون ، ويحققون بالأقلام ، ما لم يتحقق بالحديد والنار . ولذا رحلت كتائب المستشرقين إلى المشرق الإسلامي باحثة عن المصادر ما بين مخطوط ومطبوع ، فجمعوا منها الآلاف . وظلوا ينقبون في المصادر المتصلة بالقرآن هنا وهناك ، فإذا وجدوا نصًّا يشير إلى حفظ القرآن من التحريف والتبديل تركوه ، وإذا عثروا على قول يمكن أن يتخذ دليلاً على ما يرومونه ، نقلوه وهللوا له وكبروا لأنهم ـ كما توهموا ـ وجدوا الضالة التي ينشدون فقد قال المبشر « جون تاكلي » John Takle :

« يجب أن نستخدم كتابهم (القرآن الكريم) وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه ، لنقضي عليه تمامًا ، يجب أن نري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديدًا ، وأن الجديد فيه ليس صحيحًا[1] ». ولكن مع هذه الجهود الضخمة التي كلفتهم أموالاً وأوقاتًا ، فقد رجع المستشرقون على أعقابهم خاسرين ، فها هو ذا الإسلام يمد كل يوم بساطه على أرض جديدة ، لا في قارتي آسيا وأفريقيا وحدهما ، بل في أوربا موطن معظم المستشرقين وفي الأمريكتين وأستراليا ، فمرة يؤمن فيلسوف أوربي كان ماركسيًا ، ومرة يسلم رئيس دولة أفريقية كان مسيحيًّا . ومرة يخلع رداء الكهنوت قسيس أفريقي ، ويقسم أن يدخل في الإسلام الآلاف التي أدخلها في المسيحية من الوثنيين وهكذا . وصدق الله العظيم في قوله : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (التوبة:٣٢) وسيقف القارئ في الصفحات التالية على مدى الإخفاق الذي منيوا به على كثرة ما بذلوا من جهود فكرية وسطروا من

---

(١) التبشير والاستعمار ص٤٠ .

أقوال ، وصدق خبر القرآن ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ (الأنفال:٣٦) وفي الصفحات التالية أورد بعض افتراءات «كولد صهر» وآرثر جفري «حول القراءات ، فرية إثر فرية ذاكرًا حججهما ، مبطلاً لها ، ومُظْهِرًا عُوارها ، وما حُفَّ بها من سوء الفهم للنص القرآني . وكلا الرجلين في افتراءاتهما لم يفرقا بين القراءات المتواترة والقراءات الشاذة ، ولذا فسيجدني القارئ في الصفحات التالية ، أناقش وأدافع عن قراءة متواترة تارة وعن قراءة شاذة تارة أخرى .

أولاً : مفتريات (إجناس كولد صهر) (*) :

وقد اخترت من مفتريات هذا المستشرق أربع فِرى :

إحداها : زعمه بأنه كانت هناك حرية في تعديل النص القرآني ، واستشهد ببعض الآيات ، وفيما يلي فريته وأدلته عليها . قال : «إنه فيما يتعلق بإقامة النص المقدس في الإسلام الأول كانت تسود حرية مطردة إلى حد الحرية الفردية . كأنما كان سواء لدى الناس أن يرووا النص على وجه لا يتفق بالكلية مع صورته الأصلية» . وساق أدلة على ذلك : الدليل الأول : أن النبي ﷺ نفسه قد خالف النص المشهور في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ (التوبة:١٢٨) بضم الفاء القراءة المقبولة ، ذكرت قراءة بفتح الفاء «من أنفَسكم» على أنها قراءة رسول الله ﷺ «وفاطمة وعائشة»[٢] وجاء في مصادر القراءات والتفسير عن هذه القراءة ما يلي :

وقرأ ابن عباس ، وأبو العالية ، والضحاك ، وابن محيصن ، ومحبوب عن أبي عمرو ، وعبد الله بن قسيط المكي ، ويعقوب من بعض طرقه : «من أَنْفَسكم» بفتح الفاء ، وهي قراءة شاذة ، لم تنقل بالسند المتواتر[٣].

(*) بهذه الحروف العربية كان قد كتب اسمه (الزركلي ١/٨٠) ويكتب بالحروف اللاتينية : Ignas Gold ziher.

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي ص٥١ .

(٣) أبو حيان : البحر المحيط ٥/١٨٨، وفتح القدير ٢/٤٢٠، وإتحاف فضلاء البشر ص ٢٤٦، ومختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص ٥٦ .

لقد وقف القارئ في الفصل الأول على معنى الحديث النبوي الصحيح «**أُنزل القرآن على سبعة أحرف**» وهناك فصلت القول وأوضحت أن اختلاف القراءات مأذون به من الله سبحانه وتعالى فإذا قرأ الرسول ﷺ آية بوجهين أو أكثر ، كانت الوجوه كلها من الله تعالى ،إذْ يستحيل شرعًا أن يبتدع النبي عليه الصلاة والسلام شيئًا لم ينزل عليه ، وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ** ﴾ (الحاقة:٤٤-٤٦) وعلى هذا ، فالقراءتان صحيحتان معنى ، وموافقتان للغة والرسم ، وكل ما في الأمر أن إحداهما صارت متواترة ، والأخرى لم تكن كذلك . وإن القراءتين مكملتان بعضهما ففي القراءة الأولى نص على أن النبي ﷺ من جنس البشر لا من الملائكة ولا من الجن ، هذا إذا تأولنا الخطاب في «جاءكم» للناس كافة . وإذا تأولنا الخطاب للعرب كان المعنى من قومكم ومن إحدى قبائلكم ، وأما القراءة الثانية «من أنفَسكم» بفتح الفاء ، فدلالتها أنه من أشرفكم نسبًا وأعزكم مكانة فاللفظ مشتق من «نَفُسَ» بضم الفاء ، نَفاسَة . والمعنى عزَّ عِزَّة . ويقال فيه «أنفس» الرباعي والصفة منه «منفس» وعليه قول الشاعر[1] :

لا تجزعي إن منفسا أهلكته ... وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي

الدليل الثاني : حول قراءة زيد بن ثابت :

ومن الصحابة الذين منحوا أنفسهم حرية التعديل لبعض نصوص القرآن ـ كما يزعم ـ «كولد صهر» زيد بن ثابت وقال عنه : كذلك العضو الأساسي الذي قام بتنفيذ الكتابة العثمانية ، ويواجهنا ممثلاً لقراءات تختلف عن النص الذي أثبته بأمر الخليفة «فقد قرأ قوله تعالى «هو الذي ينشركم» بدلاً من ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ** ﴾ (يونس:٢٢).

لقد اقتصر كولد صهر هنا على الكشاف وحده (٢/٢٣١) لأن الزمخشري لم يذكر أنها قراءة متواترة ومن القراءات السبع ، وإليك ما قالته المصادر الإسلامية

---

(١) أساس البلاغة (نفس) .

الأخرى ، قال ابن الجزري : واختلفوا في ﴿ يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ (يونس:٢٢) فقرأ أبو جعفر وابن عامر (يَنْشُركم) بفتح الياء ونون ساكنة بعدها وشين معجمة مضمومة من النشر ، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام وغيرها . وقرأ الباقون ﴿ يُسَيِّرُكُمْ ﴾ بضم الياء وسين مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشددة من التسيير وكذلك هي في مصاحفهم[1] ومما يدل على أن كلتا القراءتين سواء في تواتر السند أنهما معًا قرئ بهما في القراءات العشر ، ولما كانت القراءتان مرويتين بالتواتر عن النبي ﷺ ، صح لزيد أن يقرأ بأيهما شاء ، ولما جاء عصر أئمة القراءات العشراختار اثنان منهم قراءة «ينشركم» واختار الباقون قراءة «يسيركم» والمعنيان متقاربان فالله تعالى ، ينشر عباده في البر والبحر ويفرقهم عليهما ويمكنهم من السير في البر بالدواب ونحوها ، وفي البحر بالفلك على اختلافها[2].

الدليل الثالث : حول قراءة لـ«عبد الله بن مسعود»

وقال عن عبد الله بن مسعود : «إنه بَدّل ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ مغيراً اللفظ الأول بمرادفه «**أرشدنا الصراط المستقيم**» ثم قال «كولد صهر» : «وقد نسب إلى ابن مسعود نفسه هذا القول الأساسي الدلالة : «لقد سمعت القراء ووجدت أنهم متقاربون» فاقرأوا كما علمتم فهو كقولكم «هلم وتعال»[3] فالذي يُخدع بقول هذا المستشرق يظن أن ابن مسعود ، كان قد قرأ «أرشدنا» من تلقاء نفسه ، دون أن يتلقاها من النبي ﷺ . وإن مثل هذه القراءة التي حكم عليها بالشذوذ فيما بعد ، كانت من القراءات المأذون بها قبل توحيد رسم المصاحف . وقد غفل «كولد صهر» من قول ابن مسعود الذي نقله ، وهو «فاقرأوا كما عُلِّمتُمْ» فإن فيه دلالة واضحة على أن الصحابة كانوا يقرأون كلمات القرآن كما سمعوها من النبي ﷺ وتعلموها منه . واختلاف القراءات في مثل هذه الكلمة كان رخصة من الله

---

(١) النشر في القراءات العشر : ٣/١٠٤ - ط / مكتبة القاهرة ١٣٩٨ .

(٢) الطبري : جامع البيان ١١/٧١، والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٨/٣٢٤ .

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي ص ٤٩ ، ٥٠ .

تعالى وتوسعة على هذه الأمة كما تقدم توضيح ذلك بتوسع في الفصل الأول عند مناقشة الحديث النبوي الصحيح «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**».

الفرية الثانية : حول طبيعة الخط العربي

قال «إن مرجع الاختلاف بين القراءات في بعض المواضع يعود إلى طبيعة الخط العربي[1] ولم يميز «كولد صهر» في أقواله بين القراءات المتواترة والقراءات الشاذة ، ولذا تراه يخبط خبط عشواء ، فمرة يحاول البرهنة على دعواه بما بين القراءات المتواترة من خلاف ومرة بما بينها وبين شواذ القراءات من خلاف ، فقد زعم أن الاختلاف بين القراء في «فتثبتوا» و«فتبينوا» مرجعه طبيعة الخط العربي[2] .ولم يذكر لنا أن الشرط الأول والأهم في تلقي القراءات هو المشافهة .

وردًا عليه أقول :إن الفعل الذي استشهد به ورد في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم اثنان منهما في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء:٩٤) والثالث في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ (الحجرات:٦) . والقراءتان متواترتان في المواضع الثلاثة ، فقد قرأ حمزة والكسائي وخَلَف «**فتثبتوا**» بثاء مثلثة بعدها باء وتاء من «التثبت» ووافقهم الحسن والأعمش وقرأ الباقون ﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ بباء موحدة ، وياء مثناة تحتية ونون ، من «التبين»[3]. فليست إحدى القراءتين أصلاً والأخرى بدلت منها كما توهمه «كولد صهر» ومعنى القراءتين واحد فالمتبين من يبذل جهدًا ليصل إلى البينة الواضحة والمتثبت من يبذل جهدًا ليصل إلى الثبوت

---

(١) انظر عبارته بنصها في مذاهب التفسير الإسلامي ص٨ .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي ص ١٠ ، ١١ .

(٣) النشر في القراءات العشر ٣٣/٣، وإتحاف فضلاء البشر ص١٩٣ .

الواضح . فالقراءتان دالتان على أن الله تعالى ، يأمر المؤمنين أن يقفوا على الحقيقة قبل الإقدام على عمل ما .

الفرية الثالثة : إن الملاحظات الموضوعية لبعض العلماء كان لها دخل في إيجاد بعض القراءات . وساق دليلاً على هذا ﴿ **يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ** ﴾ (البقرة:٥٤) .

فقد قال « كولد صهر » وربما كان مفسرون قدماء معتد بهم (ذكر قتادة البصرة المتوفى ١١٧هـ - ٧٣٥م حجة على ذلك) قد وجد هذا الأمر بقتل أنفسهم ، أو بقتل الآثمين منهم ، أمرًا شديد القسوة ، وغير متناسب مع الخطيئة ، فآثروا تحلية الحرف الرابع من هيكل الحروف الصامتة « فاقتلوا » بنقطتين من أسفل ، بدل التاء المثناة من أعلى ، فقرأوا « فأقيلوا » « أنفسكم »[1] قلت : هذه قراءة شاذة لعدم تواتر سندها ولقتادة في هذا الموضع قراءة شاذة أخرى ، هي « **فاقتالوا أنفسكم** » ومما يدل على أن ما نسب إلى « قتادة » على أنه قراءة . ما هو إلا قول ذكره على وجه التفسير ، أن في المراد من القتل في هذه الآية ثلاثة أقوال : وأظهرها قتل النفس ، بمعنى إزهاق روحها . فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : « أمر موسى قومه عن أمر ربه أن يقتلوا أنفسهم ، واختبأ الذين عكفوا على العجل فجلسوا ، وقام الذين لم يعفكوا على العجل ، فأخذوا الخناجر بأيديهم ، وأصابتهم ظلمة شديدة ، فجعل يقتل بعضهم بعضًا ، فانجلت الظلمة عنهم عن سبعين ألف قتيل . كل من قُتل منهم كانت له توبة ، وكل من بقي كانت له توبة »[2].

وفي ضوء هذا فيكون معنى القراءة الشاذة المعزوة لقتادة : أن أنفسكم قد تورطت في عذاب الله بعبادتكم العجل ، فأقيلوا عثرتكم هذه بالتوبة ولزوم الطاعة . وأما قراءة « **فاقتالوا أنفسكم** » فالفعل « افتعل » بمعنى « استفعل » أي : فاستقيلوها ، بمعنى : اطلبوا من الله أن يقبل عثرتكم ويقبل توبتكم بقتل أنفسكم[3].

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي ص١١ .

(٢) البحر المحيط ٢٠٧/١ ، وفتح القدير ٨٦/١ .

(٣) المحتسب ٨٤/١ ، والبحر المحيط ٢٠٨/١ .

الفرية الرابعة : زعم «كولد صهر» أن بين بعض القراءات تناقضًا[1] ولكي يبرهن على ذلك استشهد بالآيات الأربع الأولى من سورة الروم . وهي قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ﴾ (الروم:١-٤) .

وفي هذه الآيات قراءتان ، إحداهما متواترة والأخرى شاذة . أما القراءة المتواترة فهي التي يقرأ فيها : ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ . . . ﴾ ببناء الفعل في «غُلبت» للمفعول وفي «سيَغلِبون» للفاعل . وفي القراءة الشاذة ، يبني الفعل الأول للمفعول ، بحيث تقرأ «**غَلَبتِ الروم في أدنى الأرض . وهم من بعد غلبهم سيُغلبون**»[2].

وقد نسبت هذه القراءة إلى : علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله ابن عباس ، وأبي سعيد الخدري . وهؤلاء صحابة . وقرأ بها الحسن البصري وكرداب وأهل الشام[3] وبعد أن أشار «كولد صهر» إلى أن في هذا الموضع قراءتين ، عقب عليهما بقوله : «وإذًا فهما قراءتان وتأويلان لجملة واحدة من كلام الله متعارضتان إلى أبعد مدى»[4].

وسيتضح للقارئ عدم هذا التعارض أو التناقض المزعوم فإن نص الآيات موضع الاختلاف كالآتي :

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الروم:١-٥).

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي ص ٢٩ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ٢١٤/٤ ، والطبري : جامع البيان ١١/٢١ ، ١٢ .

(٣) أبو حيان : المحيط المحيط ١٦١/٧، والكرماني : شواذ القرآن ص ١٨٨، ومختصر في شواذ القرآن ص١١٦ .

(٤) موضعا الإحالة السابقة على الشوكاني وأبي حيان .

يحسن بي أن أعطي القارئ فكرة عن سبب نزول هذه الآيات والوقائع الحربية التي تشير إليها القراءتان .

كان الفرس والرومان قد دخلا في معارك حربية قبل نزول هذه الآيات . وانتصر الفرس على الروم . وكان ذلك في سنة ٦١٦م فسر مشركو العرب لهزيمة الروم ، وطفقوا يقولون للمسلمين : قد انتصر الفرس ـ وهم ليسوا بأهل كتاب ـ على الروم وهم أهل كتاب . مما يجعلنا واثقين من هزيمتكم على أيدينا وأنتم أهل كتاب . وحزن المسلمون لما أصاب الروم . وكانوا يحبون أن ينتصر الروم على الفرس . فأنزل الله تعالى تلك الآيات . فسر المسلمون لما في هذه الآيات من بشارة بانتصار الرومان على الفرس في بضع سنين قادمة .

وقد نشبت الحرب بين الفريقين بعد نزول هذه الآية بتسع سنوات وانتصر الرومان على الفرس . وكان ذلك في سنة ٦٢٥م هذا ما تدل عليه القراءة المتواترة .

أما القراءة الشاذة : « **ألم غَلَبتِ الرومُ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سَيُغْلبون** . . إلخ » فإنها تدل على أن « الروم » الذين سيهزمون الفرس في حرب قادمة ويكونون غالبين ، فإنهم في حرب قادمة بعد بضع سنين أيضًا من تاريخ انتصارهم على الفرس سينقلبون مغلوبين لأمة أخرى .

وقد حدث أن فكر الروم في قتال المسلمين ، فجهزوا جيشًا عدته مئتا ألف ـ كما تقول بعض الروايات ـ من جند الرومان والمحاربين من القبائل العربية التي كانت موالية للروم . ولما علم النبي ﷺ بخبر الروم ونصارى العرب وجموعهم ، أعد جيشًا قوامه (٣٠) ثلاثون ألفًا ، وسار بجيشه حتى وصل « تبوك » وعسكر بها بضع عشرة ليلة . ولما علم الروم بعدد الجيش وأنه بقيادة النبي ﷺ آثروا السلامة ولم يصلوا إلى « تبوك » واكتفى قيصر الروم بإرسال كتاب إلى النبي ﷺ مع رجل يدعى « التنوخي » وتناقلت القبائل العربية القاطنة شماليّ الجزيرة ما كان من خبر الروم وخوفهم من عاقبة قتال المسلمين ، فصالح بعضها المسلمين على البقاء على النصرانية ودفع الجزية ، وأسلم بعض الزعماء ثم تتابعت وفود القبائل العربية على

المدينة المنورة تعلن إسلامها أو محالفتها . ولهذا اعتبرت غزوة « تبوك » التي لم يلتحم فيها جيش المسلمين بجيش الرومان ، نصراً للإسلام فرح به المؤمنون للآثار التي ترتبت عليه[1] .

وفي ضوء ما تقدم ، يتضح للقارئ ، أن الرومان لم يكونوا بعد بضع سنين ، غالبين ومغلوبين لأمة واحدة ، وفي وقت واحد ، حتى تكون القراءتان متعارضتين إلى أبعد مدى كما قال « كولد صهر » فقد كان « الرومان » مغلوبين للفرس في سنة (٦١٦م) ثم كانوا غالبين لهم بعد بضع سنوات ، أي ي سنة (٦٢٥م) ثم كانوا مغلوبين للمسلمين بعد بضع سنوات أيضًا من تاريخ انتصارهم على الفرس ، وذلك في حرب كادت أن تقع بين المسلمين والروم في سنة (٦٢٩م) فأين التناقض بين مدلول القراءتين؟!

لقد غاب عن ذهن « كولد صهر » ـ وهو تحت وطأة الرغبة الجامحة في مهاجمة القرآن ـ معنى التناقض في علم المنطق إذ هو : اختلاف القضيتين إيجابًا وسلبًا مع وحدة الزمان والمكان ، بأن تكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة كأن يقال « الخرطوم » عاصمة السودان في الوقت الحاضر (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) فنقيض هذه القضية أن يقال : « الخرطوم ليست عاصمة السودان في الوقت الحاضر » . وعليه فلا تناقض بين « الخرطوم عاصمة السودان في الوقت الحاضر » و« الخرطوم لم تكن عاصمة السودان في القرن العاشر الهجري » لاختلاف الزمان في القضيتين[2] .

ولا يوجد تناقض بهذا المعنى بين القراءات المتواترة من جهة والقراءات الشاذة من جهة أخرى . إنما يوجد تعدد ، تارة في الصور اللفظية وتارة في وجوه المعاني أو الوقائع التاريخية . وليس بينها تنافر أو تضاد كما سيراه القارئ مبسوطًا في فصل (الاختلاف اللغوي) والفصول التالية له .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٥١٥ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢/٢٧٤ ، وابن العماد : شذرات الذهب ١/١٣ .

(٢) أثير الدين الأبهري : إيساغوجي ص٢٨٤ (ضمن مجموعة المتون) .

ثانيًا : من مفتريات آرثر جفري الإنجليزي :

وقد مضى «جفري» على طريق سلفه «كولد صهر» فافترى عدة مفتريات في المقدمة التي كتبها لـ(كتاب المصاحف) لابن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٣١٦هـ . وقد اخترت أن أعرض على القارئ واحدة من تلك الفرى . قال : «وكانت هذه المصاحف كلها ـ يعني مصاحف عثمان التي بعث بها إلى الأمصار ـ خالية من النقط والشكل ، فكان على القارئ نفسه أن ينقط ويشكل هذا النص على مقتضى معاني الآيات . ومثال ذلك «يعلمه» كان يقرؤها الواحد «يعلمه» والآخر «نعلمه» أو «تعلمه» أو «بعلمه» إلخ على حسب تأويله للآية[1].

يدل كلام آرثر هذا على أن التلقي لا دخل له في إقامة النص القرآني ، وقد غفل عن قوله ﷺ عندما اختلف عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم وابن مسعود وصاحبه مثلاً ، فقد استقرأ كلا منهم السورة المختلف عليها فلما اطمأن على أنَّ قراءاتهم جميعًا متفقة مع الهيئة التي أوحاها الله إليه ، قال لكل واحد منهم : «**هكذا أُنزلت**» وقد مر تفصيل هذا في الفصل الأول ، وتقدم في الفصل الثاني أن عثمان رضي الله عنه كان قد أرسل مع كل مصحف من مصاحف الأمصار قارئًا يتلقى الناس منه القرآن ، حرصًا على الضبط المروي مشافهة من النبي ﷺ[2].

ولو كان «جفري» ملمًّا بأساليب اللغة العربية وقواعد تراكيبها لأدرك أن الهيكل الكتابي الذي مثل به لا يخلو أمره من حالتين إحداهما : أن يكون فعلاً مضارعًا مبدوءً بالنون أو الياء أو التاء ، والحالة الأخرى أن يكون مصدرًا مجرورًا بالباء مضافًا إلى ضمير المفرد الغائب . وأول الفعل المضارع يحكمه السياق ، فلو كان قبله ضمير جماعة المتكلمين «نحن» أو «نا» المسبوق بـ«إنَّ» فسيكون التركيب «إنا أو نحن نعلمه» وإذا سبقه ضمير الغائب المذكر فسيكون التركيب «هو يعلمه» ولو سبقه ضمير الغائب المؤنث فسيكون التركيب «هي تعلمه» وهكذا في

---

(١) مقدمة «كتاب المصاحف» ص ٧ .

(٢) انظر الفصل الثاني ص ٥٣ .

كل فعل مضارع مسند لجماعة المتكلمين ، أو للمفرد المذكر مخاطبًا أو غائبًا . أو للمؤنثة الغائبة .

وفي الفقرة التالية ، أورد الهيكل المرسوم الذي يمكن أن يكون أوله نونًا أو ياءً أو تاءً أو باءً في القرآن كله ليرى القارئ بالبرهان الاستقرائي فساد ما ذهب إليه آرثر جفري من أن القارئ في المصاحف العثمانية كان حرًّا في نقط النص القرآني وشكله حسب تأويله للآية .

فقد ورد هذا الهيكل الكتابي في تسعة مواضع من القرآن الكريم ، جاء في خمسة منها فعلاً مضارعًا ، وجاء في أربعة منها مصدرًا مجرورًا بالباء مضافًا إلى ضمير المفرد الغائب .

أما المواضع الخمسة التي جاء فيها مضارعًا فهي كالآتي : الموضع الأول في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة:١٩٧) والموضع الثاني في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾ (البقرة:٢٧٠) والموضع الثالث في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران:٢٩) والموضع الرابع في قوله تعالى : ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (آل عمران:٤٧،٤٨) والموضع الخامس في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الشعراء:١٩٧) .

وتأمل الأفعال المتصلة بضمير الغيبة في الآيات الثلاث الأولى فقد أسند الفعل في ثلاثتها إلى الله تعالى ، فكيف يتأتى لقارئ أن يؤديه تأويله لمعنى من المعاني ، بحيث ينقط ويشكل هذا الفعل في هذه الآيات كما يشاء ، فإن المعنى لا يستقيم في المواضع الثلاثة الأولى إلا إذا كان الفعل مبدوءً بياء المضارعة ، ولا يصلح غيرها من أحرف المضارعة كما لا تصلح باء الجر . فتأمل كيف سيكون التركيب في المواضع الثلاثة الأولى إذا كانَ النص « نعلمه الله » أو « تعلمه الله » أو « بعلمه الله » ؟! إنه لأمر مضحك ولكنه عند بعض المستشرقين برهان قاطع على أن الحرية

كانت سائدة في تعديل نصوص القرآن بحيث استطاع كل قارئ في المصاحف العثمانية أن ينقط النص ويشكله بحيث يتناسب مع ما يراه من تأويل!! .

أما الموضعان الآخران فإن اللفظ المتواتر في الموضع الرابع «يعلمه الكتاب» بضم الياء وتشديد اللام المكسورة من «عَلَّم» الرباعي . واللفظ المتواتر في الموضع الخامس «يعلمه» علماء . إلخ .

ولا يختلف المعنى في الموضع الرابع إذا قرئت الآية «ونعلمه الكتاب والحكمة» بوضع نون مكان الياء . كما لا يختلف المعنى في الموضع الخامس إذا قرئت الآية «أن تعلمه علماء إلخ» بوضع التاء مكان الياء ، ولكن مع هذا لم يصل إلينا عن طريق النقل المتواتر إلا «يعلمه» في الموضع الرابع «ويعلمه» في الموضع الخامس ، وهذا يدل على أن المعول عليه في تلقي القرآن المشافهة والسماع وليست الكتابة إلا عاملاً مساعدًا على الحفظ والمراجعة ، ولهذا قالوا قديمًا «لا تأخذوا القرآن من مصحفي ولا الحديث من صحفي»[1].

فالمسلمون ـ لشدة عنايتهم بحفظ هذين المصدرين : القرآن والسنة ـ حرصوا على السماع من لفظ الشيخ ثم العرض عليه ، على نحو ما فصلته في مستهل هذا الفصل .

أما المواضع الأربعة التي جاء فيها الهيكل المرسوم مصدرًا مجرورًا بالباء ومضافًا إلى ضمير المفرد الغائب ففي الآيات الآتية وهي : قوله تعالى : ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾ (النساء:١٦٦) وقوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾ (يونس:٣٩) وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ (فاطر:١١)،(فصلت:٤٧).

وفي جميع هذه المواضع الأربعة لا يصح أن يقرأ هذا الهيكل «بعلمه» إلا على أنه مصدر مجرور بالباء . وليتأمل القارئ المعنى الذي يؤديه هذا الهيكل لو وضعنا

---

(١) أحمد فارس الشدياق : الجاسوس على القاموس ص٤ .

نقطتين فوق الحرف الأول منه في الآيتين الثالثة والرابعة مثلاً ، فإنهما ستقرآن « وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا تعلمه » سبحانك هذا بهتان عظيم!! .

ومن هنا يدرك القارئ أن « جفري » باستدلاله على دعواه بهذا الهيكل الكتابي الذي ذكره ، خبط خبط العشواء ، وسار في الظلماء ، ولو قد كان « جفري » رجع إلى مضارع علم ومصدره المجرور بالباء في القرآن الكريم لأدرك فساد برهانه ، ولم يكن في عالم الفكر والبحث من المتخبطين .

* * *